الرسالة

(١ يوحنا ١: ١-٩)

الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناهُ بعيونِنا الذي شاهَدناه ولمستْهُ أيدينا من جهةِ كلمةِ الحياة* لأنَّ الحياةَ قد ظهرت ورأيناها ونشهدُ ونبشِّرُكم بالحياةِ الأبديَّةِ التي كانت عند الآبِ فظهرت لنا* الذي رأيناهُ وسمِعناهُ به نبشِّركم لتكونَ لكم أيضاً شركةٌ معنا. وشركتُنا إنَّما هي مع الآبِ ومع ابنِه يسوعَ المسيح* ونكتُبُ إليكم بهذا ليكونَ فرحُكم كامِلًا* وهذه هي البشرى التي سمعناها منه ونبشّركم بها أنَّ اللهَ نورٌ وليس فيه ظلمةٌ البتة* فإن قُلنا إنَّ لنا شركةً معه وسلَكنا في الظلمةِ نكذِبُ ولا نعملُ بالحقّ* ولكن إن سلَكنا في النور كما أنَّه هو في النور فلنا شركةٌ لبعضِنا مع بعضٍ ودمُ يسوعَ المسيحِ ابنهِ يُطهِّرنا من كل خطيئةٍ.

الأحد الجديد

«يا له من عَجَبٍ معجزٍ لأن عدم الإيمان صار تأكيداً للإيمان، لأن توما قال إن لم أُبصر فلا أصدّق. فلما فتش الجنب نطق بلاهوت المتجسد الذي هو ابن الله وعرف انه تألم بالبشرة، وهتف كارزاً بالإله الناهض وصرخ: ربي وإلهي المجد لك» (من غروب أحد توما).

تطلق الكنيسة على الأسبوع الذي يلي قيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات اسم «أسبوع التجديدات». ففي كل يوم من أيام هذا الأسبوع نرتل في الكنيسة صباحاً في صلاة السَحَر قانون الفصح «اليوم يوم القيامة...» الذي رتلناه صبيحة الفصح، إلى جانب ترانيم القيامة حسب ألحان الكنيسة الثمانية التي نرتلها أيام الآحاد (أي كل يوم لأحد الألحان بالتدرج). ومساء كل يوم نرتل أيضاً بالتدرج ترانيم غروب آحاد القيامة حسب الألحان، كما نقرأ المقطع الإنجيلي من يوحنا (٢٠: ١٩-٢٥) الذي يتحدَّث عن ظهور الرب يسوع لتلاميذه من بعد قيامته ونفخه فيهم الروح القدس. وينتهي المقطع بإخبار التلاميذ الرسول توما بمجيء الرب إلى علية صهيون، لأنه لم يكن معهم حين حصل هذا، وجوابه لهم: «إن لم أعاين أثر المسامير في يديه وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن» (يو ٢٠: ٢٥).

نقرأ هذا الفصل الإنجيلي بلغات عدة إشارة إلى وصول البشارة إلى كل الكون، متممين وصية الرب: «تكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أع١: ٨). هكذا يصبح كل أسبوع التجديدات ليتورجياً وكأنه يوم واحد ليتورجي نحتفل فيه دون انقطاع بقيامة الرب، هذه القيامة التي ليست من نظام الكون الطبيعي. فأيام هذا الأسبوع ليست أياماً عادية لأن المسيح قام. هذا الأسبوع هو بمثابة يوم واحد غير منقطع بليل لأن يوم الفصح يوم أبدي لا يغرب نوره أبداً، منه ننطلق لنعود إليه.

في القداس الإلهي يوم الأحد الجديد، المسمَّى أيضاً أحد توما، نقرأ الفصل الإنجيلي عن ظهور المسيح للتلاميذ وإخبارهم الأمر لتوما وعدم تصديقه، ويُضاف إليه تتمة القصة حيث ظهر الرب لتلاميذه وتوما بعد

العدد ١٩ / ٢٠١٦

الأحد ٨ أيار

أحد توما الرسول

تذكار الرسول يوحنا الإنجيلي

والبار أرسانيوس الكبير

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

ثمانية أيام لقيامته وقول الرب له أن يلمسه، فيصرخ توما: «ربي وإلهي. قال له يسوع: لأنك رأيتني آمنت. طوبى للذين لم يروا وآمنوا» (يو ٢٠: ٢٨-٢٩).

مع قصة شك الرسول توما تجدِّد الكنيسة إيمانها الثابت بقيامة الرب يسوع من بين الأموات: «ان التلاميذ لما كانوا مشككين بأمر القيامة وافى المخلّص إلى حيث كانوا مجتمعين بعد ثمانية أيام وأعطاهم سلاماً، وهتف بتوما: هلمَّ أيها الرسول المرتاب فتِّش الكفين اللتين ثُقبتا بالمسامير. فما أظرف عدم تصديق توما إذ أقبل بقلوب المؤمنين إلى المعرفة وهتف بخوف: ربي وإلهي المجد لك» (من صلاة غروب أحد توما). إنه الأحد الجديد لأننا فيه نجدِّد إيماننا بقيامة الرب.

ليتورجياً، كان لأسبوع التجديدات أهمية خاصة في الكنيسة الأولى حيث كان يُعمّد المؤمنون ليلة الفصح المقدس الذي صار يُسمّى اليوم سبت النور. فالمعمودية هي موت وقيامة مع الرب يسوع بها نُميت الإنسان العتيق فينا، الإنسان الخاطئ، ونقوم لحياة جديدة نحياها مع الرب. في فترة الصوم الكبير كانت تتم التهيئة النهائية للمستعدين للإستنارة المقدسة فتتلى عليهم صلوات الإستقسامات (أي صلوات طرد الشياطين) ويُشرح لهم دستور الإيمان بالتفصيل. وبعد معموديتهم يبقون في حلتهم البيضاء التي لبسوها يوم تعمّدوا لمدة ثمانية أيام، ويأتون كل يوم إلى الكنيسة ليشاركوا في القداس الإلهي ويسمعوا شرحاً عن الأسرار التي تلقوها. ان يوم أحد الفصح الذي هو أول ايامهم كمسيحيين هو يوم خارج هذا الزمن إذ انه اليوم الذي يلي اليوم السابع الذي استراح فيه الرب. إنه اليوم الثامن الذي لا يندرج في حسابات هذا الزمن لأنه يوم القيامة، يوم الخلق الجديد. لقد صاروا عبر معموديتهم خليقة جديدة، من أبناء الملكوت. والكنيسة أرادتهم أن يعيشوا خبرة هذا الزمن الجديد فيما يتعلّمون إيمانهم الجديد، فكان أسبوع التجديدات الذي يتوَّج بالأحد الجديد حيث يجدّدون إيمانهم. يعيشون حياة جديدة ليست من هذا العالم، في وطن الكنيسة الأصلي، في الملكوت. لكن لا بد لهم أن يعودوا في المنتهى إلى هذا العالم ليشهدوا للرب فيه، فيصير هذا في الأحد الجديد حيث يتم غسلهم وقص شعرهم وإطلاقهم في العالم.

بالعودة إلى أحد توما، فإن الرسول توما هو شفيع كل مَن يجد صعوبة في الإيمان بقيامة المسيح. ترانيم هذا اليوم تمدح شك توما لأن عدم إيمانه بما قاله له الرسل جعل الرب يسوع يقدِّم البرهان المحسوس بأنه حي بعدما مات ودُفن. لكن هذا الدليل الحسّي على القيامة ليس متوفراً لمن أتوا بعد صعود الرب إلى الآب، ومن بين هؤلاء المؤمنون الذين كتب لهم الإنجيلي يوحنا. فقال لهم ولنا: «وأما هذه (أي حادثة توما) فقد كُتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو ابن الله. ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣١). نحن نؤمن بالقيامة بسلطان التقليد المسيحي الذي نقلته لنا الأناجيل المقدسة من خلال حياة الجماعة المسيحية. لكن هذا الإيمان يتثبت أكثر فأكثر من خلال خبرتنا الخاصة مع المسيح القائم الذي يأتي إلينا ليس فقط في الحياة الأسرارية والصلوات، إنما في كل محاولة من قبلنا لكي نحيا كتلاميذ للرب القائم. أن نؤمن بقيامة المسيح يعني أن نؤمن بقوة المحبة الإلهية القادرة على تخطّي كل ألم وموت، وبالتالي العيش في

الإنجيل

(يوحنا ٢٠: ١٩-٣١)

لما كانت عشيَّةُ ذلك اليومِ وهو أولُ الأسبوعِ والأبوابُ مُغلقةٌ حيث كان التلاميذُ مجتمعَين خوفاً من اليهود جاء يسوعُ ووقف في الوسْطِ* وقال لهم السلامُ لكم* فلما قال هذا أراهُم يديهِ وجنبَه. ففرح التلاميذُ حين أبصروا الربَّ* وقال لهم ثانيةً السلامُ لكم كما أرسلني الآبُ كذلك أنا أرسلُكم* ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خُذوا الروحَ القدس* مَن غ فَرتم خطاياهم تُغفَر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أُمسِكَتْ* أما توما أحدُ الإثنَيْ عَشَرَ الذي يقالُ له التوأم فلم يكن معهم حين جاءَ يسوع* فقال له التلاميذُ الآخرونَ إنَّنا قد رأينا الربَّ. فقال لهم إن لم أعايِنْ أثَرَ المسامِر في يديهِ وأضَعْ إصبعي في أثر المسامير وأضَعْ يدي في جنبهِ لا أؤمن* وبعد ثمانيةِ أيامٍ كان تلاميذهُ أيضاً داخلاً وتوما معهم فأتى يسوعُ والأبوابُ مُغلَقةٌ ووقف في الوسْط

وقال السلامُ لكم* ثم قال لتوما: هات إصبعك إلى ههنا وعاين يديَّ وهاتِ يدك وَضَعْها في جنبي ولا تكنْ غيَر مؤمنٍ بل مؤمناً* أجاب توما وقال له: ربّي وإلهي* قال له يسوع: لأنكَ رأيتَني آمنتَ، طوبى للذين لم يَرَوا وآمنوا* وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنع يسوعُ أمام تلاميذه لم تُكتَب في هذا الكتاب. وأمَّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأنَّ يسوع هو المسيحُ ابنُ الله. ولكي تكونَ لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه.

تأمل

«لأنَّك رأيتني آمنت، طوبى للذين لم يَرَوا وآمنوا».

الإيمان هو قوام المرجوّات وبرهان غير المرئيات (عب ١١: ١). هنا يعلن الطوبى لا للتلاميذ فحسب، بل ولمن سيؤمنون من بعدهم أيضاً. وربّ قائل: «مع ذلك رأى التلاميذ وآمنوا». أجل، ولكنّهم لم يلتمسوا شيئاً أبداً، بل من برهان الأكفان تلقّوا الرسالة بشأن القيامة على الفور، الرجاء. لذلك عندما اعترف توما بقوله: «ربي وإلهي» قال له الرب «طوبى للذين لم يروا وآمنوا». المسيح قام.

أنا هو

تقرأ الكنيسة المقدّسة على مسامعنا، على امتداد الفترة الفصحيّة، أي ابتداءً من أحد الفصح المبارك وصولاً إلى أحد العنصرة، إنجيل يوحنا. ويُطلق على الإنجيلي يوحنا لقب اللاهوتي، لأنّه استطاع، بواسطة تعابير وأساليب كلاميّة بشريّة يفهمها كلّ إنسان، أن يُظهر ألوهيّة ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح. وإلى جانب الصفات التي أطلقها الإنجيلي يوحنا على الربّ يسوع والتي تُظهر ألوهيّته، مثل «الكلمة» و«ابن الله» و«ابن الإنسان»، كان لاستعماله صيغة «أنا هو» ego eimi (يو٨: ٥٨) وقعًا على سامعيه من اليهود، الذين يدركون أنّ هذه الصيغة استعملها الله نفسه حين ظهر لموسى في العلّيقة (خر٣: ١٤). تجدر الملاحظة أنّ الترجمات قد لا تنقل العبارة كما جاءت في الأصل اليوناني، فنجد مثلًا في الترجمة العربيّة «أنا كائن» (٨: ٥٨)، وقد تأتي من دون «هو»، مثل «أنا الكرمة الحقيقيّة» (١٥: ١).

من اللافت أنّ الإنجيلي يوحنّا الذي نعيّد له اليوم يستعمل هذه الصيغة على لسان الربّ يسوع بأشكال مختلفة. في حالةٍ أولى، تترافق «أنا هو» بصور يطلقها الربّ يسوع على نفسه، ترمز لمعانٍ سامية يريد الربّ زرعها في وجدانٍ سامعيه. بعد تكثير الخبز، أعلن الربّ يسوع «أنا هو خبز الحياة» (٦: ٣٥، ٤٨)، أي أنّه هو وحده الخبز الحقيقي (٦: ٥٥)، لأنّه ينزل من عند الله ويهب الحياة، «لأنّ خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياةً للعالم» (٦: ٣٣). وفي عيد المظال أعلن الربّ يسوع «أنا هو نور العالم» (٨: ١٢؛ ٩: ٥)، هذا النور الذي يجلب معه الدينونة لأنّه يظهر أعمال البشر على حقيقتها (٣: ١٩)، الذي يسير الناس أيضًا بهديه ويحييهم: «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه» (١: ٤–٥).

في حالة أخرى يستعمل الربّ يسوع عبارات تشير إلى علاقته مع تابعيه. فبعكس السارقين واللصوص الذين يسعون إلى سرقة الخراف (١٠: ٨)، يعلن الرب يسوع «أنا هو باب الخراف» (١٠: ٧)، والذين يدخلون من هذا الباب يخلصون (١٠: ٩) وينالون الحياة: «السارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويهلك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة وليكون لهم أفضل» (١٠: ١٠). وبعكس الأجير الذي لا يهمّه أمر الخراف، يعلن الربّ يسوع «أنا هو الراعي الصالح» الذي يهتمّ لأمر تابعيه ويبذل نفسه عنهم (١٠: ١١). كما أنّ الربّ هو مصدر حياة من يثبت فيه كالغصن الذي يثبت في الكرمة ويعطي ثمرًا، إذ هو الكرمة الحقيقيّة: «أنا هو الكرمة الحقيقيّة» (١٥: ١).

هناك حالتان لا يستعمل فيهما الربّ يسوع صورًا رمزيّة، إنّما يعلن بشكل صريح عن نفسه أنّه هو نبع الحياة. في الأولى، وبعد موت لعازر، وجوابًا على إيمان مرتا بالقيامة الأخيرة، قال الربّ يسوع «أنا القيامة والحياة» (١١: ٢٥). الذي يؤمن به ولو مات فسيحيا، ومن كان حيًّا وآمن به لن يموت إلى الأبد (١١: ٢٦). وخلال العشاء الأخير أعلن الربّ «أنا هو الطريق والحقّ والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي». هذا الإعلان يوضح بشكل جليٍّ فحوى كل باقي الإعلانات، ألا وهو أنّ الربّ يسوع

هو مصدر الحياة الحقيقيّة التي تأتي من الله الآب.

إلاّ أنّه في عدّة حالات يستعمل الربّ يسوع الصيغة «أنا هو» منفردة، أي من دون ما يدل على ما يعلنه. وقد يأتي الإيضاح ضمن سياق الحديث الذي تُستعمل فيه هذه الصيغة. ففي حادثة المرأة السامرية التي تكلّمت على المسيّا المنتظر الذي سيخبر الجميع بكلّ الأمور الإلهيّة، يجيب الربّ يسوع «أنا الذي أكلّمك هو» (٤: ٢٦)، ما قد يعني أنّه يعلن عن نفسه كونه المسيّا المنتظر. والحال نفسها عندما أتى إلى التلاميذ ماشيًا على المياه وخافوا، فقال لهم «أنا هو، لا تخافوا» (٦: ٢٠)، وقد يعني ذلك أنّه هو يسوع الذي يعرفونه. إلّا أنّ استعمال الربّ لهذه العبارة عند إلقاء القبض عليه لها وقع مختلف. فحين سأل الربّ يسوع من جاءوا إليه «من تطلبون؟» وأجابوه «يسوع الناصري»، قال لهم «أنا هو»، «فلمّا قال لهم إنّي أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (١٨: ٥–٦). فلو فهموا أنّه يعرّفهم عن نفسه فقط لما كانت لهم ردّة الفعل هذه، من هنا ندرك أنّ الإنجيلي يريد أن يعلن لنا شيئًا آخر.

أمّا اللافت فهو استعمال الربّ يسوع لهذا العبارة ثلاث مرّات في مباحثته مع اليهود في الإصحاح الثامن (٨: ١٢–٥٨). لقد قال الربّ لليهود «إنّكم تموتون في خطاياكم. لأنّكم إن لم تؤمنوا إنّي أنا هو تموتون في خطاياكم»، فسألوه بتعجّب «من أنت؟» (٨: ٢٤–٢٥). وفي المرة الثانية قال لهم «متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذٍ تفهمون أنّي أنا هو» (٨: ٢٨)؛ هل هذا يعني أنّهم سيعرفون أنّه هو ابن الإنسان، أم أنّ ذلك يعني أكثر من ذلك؟ ما يدعونا إلى التساؤل هو استعمال الربّ يسوع لهذا العبارة في المرّة الثالثة في مباحثته هذه، فعندما قال لهم إنّ إبراهيم رآه استهزأوا به، عندئذٍ قال لهم «الحقّ الحقّ أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا هو» (٨: ٥٨). وما يدلّ على أنّ سامعيه فهموا عمق هذا الإعلان أنّهم أخذوا حجارة ليرجموه، لأنّهم اعتبروا أنّه قد جدّف. وهذا ما فعلوه لاحقًا، إذ أرادوا أن يرجموه لأنّه وهو إنسان يجعل نفسه إلهًا (١٠: ٣٣).

هذا الإعلان إذًا هو إعلان عن ألوهيّة الربّ يسوع، واليهود وسامعو الإنجيل يدركون تمامًا أنّ ما أعلنه الربّ يسوع هو نفسه ما أعلنه الله عن نفسه عندما ظهر لموسى في العليقة غير المحترقة «أنا هو الكائن» ego eimi o on (خر٣: ١٤)، وفي كتاب اشعياء النبي: «أنا الربّ الأوّل ومع الآخرين أنا هو» (اشع٤١: ٤)؛ «أنتم شهودي يقول الربّ وعبدي الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أنّي أنا هو»(اشع٤٣: ١٠).

إنّ الرب يسوع المسيح هو مصدر حياتنا الحقيقيّة، التي علينا أن نقبلها ونسير على أساسها بعد قيامة الربّ من الأموات. وهذه الصيغة التي أضأنا عليها، وغيرها من الإعلانات الواردة في إنجيل يوحنا إنّما تصبّ جميعها في غاية كتابة الإنجيل: «وآياتٍ أخر كثيرة صنع يسوع قدّام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأمّا هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو٢٠: ٣٠–٣١).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

وأبدوا كلّ الإيمان قبل أن يروا الجسد (يو ٢٠: ٨). أمّا الأمر الجدير بالتحقيق فهو كيف أنّ جسداً عادم الفساد قد عرض آثار المسامير ولُمس من يدٍ مائتة. لقد ظهرت هذه الأعجوبة ليؤمَن بالقيامة، وليعرف البشر أنه المصلوب نفسه، وأنّ أحداً سواه لم يقم بدلاً منه. لهذا السبب نهض حاملًا سمات الصليب، ولهذا السبب تناول طعاماً (لو ٢٤: ٤٣). أقلّه الرسل قد جعلوا من هذا الأمر علامة القيامة حيثما حلّوا، قائلين: «نحن الذين أكلوا وشربوا معه» (أع ١٠: ٤١). إذاً، وكما عند رؤيته ماشياً على الأمواج قبل الصلب (يو ٦: ١٩) لا نقول إنّ ذاك الجسد كان من طبيعة مختلفة، بل من طبيعتنا، كذلك بعد القيامة، عند رؤيته مع آثار المسامير، سوف نقول ان طبيعة جسد المسيح هي من نفس طبيعة جسدنا القابل للفساد والموت.

القديس يوحنا الذهبي الفم